العالم يتطلع الى هدوئنا المصري

أربعـــون يوماً
فى الصحراء الغربية
للأستاذ عبد الله حبيب

— ٥ —

تحدث المحرر فى مقالاته السابقة عن طريق مشاهداته فى الصحراء الغربية ووصف بعض صفات الأعراب وأخلاقهم وطرق معيشتهم . وهو فى هذا المقال يتحدث إلى القراء عن « مرسى مطروح » عاصمة الصحراء الغربية حديثاً طريفاً

مرسى مطروح

هى ميناء صغيرة تحمى مدخلها من أمواج البحر الأبيض صخور طبيعية فى وسطها مدخل صغير يسمح بمرور البواخر العادية الحجم . ومن الصعب على البواخر دخول الميناء فى أوقات العواصف والأنواء . وحول الميناء عدد من البحيرات يفصل بينها حاجز رملى بسيط لا يلبث أن يطغى عليه البحر فيملأ هذه البحيرات بمياهه . وهناك على رابية مرتفعة شرق الميناء تقع طابية أثرية قديمة يغلب أنها من العهد الرومانى . ثم حولها الأتراك إلى طابية تركية وجعلت أخيراً حصناً منيعاً للدفاع عن الميناء ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٦

ومرسى مطروح بلدة قديمة كان للتجارة فيها شأن عظيم وازدهرت فى عهد الرومان وكانت تشتهر بتصدير الشعير والإسفنج والبلح والأغنام ، وقد شيدت الملكة كليوبطرة قصراً فخماً بها . وكانت تقيم فيه مع القيصر أنطونيوس . ومنه كانت تدير حركة جيوشها فى مصلحة الأخير ضد أغسطس الذى أقام بها بعد موقعة أكتيوم .

كذلك كانت لمرسى مطروح شهرة ذائعة فى عهد اليونان أيام حكم اسكندر الأكبر المقدونى ؛ وكانت تسمى فى ذلك الحين (برنيوم) كما كان بعض القدماء يسمونها (أمونية) ويغلب أنهم أطلقوا عليها هذا الاسم نظراً إلى أنها كانت بداية الطريق الموصلة إلى سيوة حيث يوجد معبد الإله أمون ويسمى « جوبتره أمون » ويقال إن الإسكندر حين قام برحلته الشهيرة لزيارة هذا المعبد فى سيوة والتبرك به ابتدأ من هذه المدينة

وفى الأيام الأخيرة قرر الامبراطور « جوستنيان » تحصينها وجعلها نقطة أمامية فى خط الدفاع عن القطر المصرى إذا هوجم من الجهة الغربية . على أنه يغلب أن يكون الحصن المقام بها والسابق ذكره يرجع إلى عهد هذا الامبراطور. ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه ، فقد كانت أيضاً نقطة دفاع مهمة فى السنة الماضية وفى هذه السنة ضد الهجوم الإيطالى المتوقع من الجهة الغربية

وليست هناك فى الواقع آثار يمكن الاستدلال منها على مركز مرسى مطروح قديماً وما كان لها من الأهمية فى العصور السابقة . والظاهر أن البحيرة الممتدة غرب الميناء الحالى هى التى كانت مستعملة قديماً كميناء للرومان واليونان وهى بحيرة منيعة . ولا تزال بها آثار رصيف حجرى يقع على مقربة من طرفها الشرقى

عند حمام كليوبطرة : مع إحدى السائحات

وبالقرب من موقع جامع البلدة الجديدة توجد آثار بناء قديم به بعض النقوش . ولهذا البناء ممر « نفق» تحت الأرض يصل إلى شاطئ البحر ، ويسمى هذا البناء « فيلا كليوبطرة » وأحياناً « حمام كليوبطرة »

أما البحيرات الشرقية من الميناء فيوجد بها بعض درجات

صخرية قديمة توصل من الشاطئ إلى شرفة من الصخور المطلة على البحيرة ، ولا يعرف تاريخها بانضبط ، وفى نهاية هذه البحيرة من الجهة الشرقية أقام بناك مصر ملاحة كبيرة معطلة الآن عن العمل . وفى جنوب البلدة سلسلة من التلال المرتفعة بها عدد من الكهوف الصخرية يظهر أنها كانت مستعملة كمقابر وعلى مقربة منها برج مرتفع يشرف على البلدة جميعها وبجواره سلسلة مواقع حربية حصينة .

البلدة الحديثة

أما البلدة الحديثة فشيدة بنظام هندسى بديع على أرض مستوية يقع أمامها البحر ، وسلسلة صخور . وإلى الخلف سلسلة من المرتفعات الحصينة الصخرية وبها محافظة الصحراء الغربية ، وهى مركز تجارى عظيم للقوافل بينها وبين سيوة ، وبهـا سنترال عام للمواصلات الخارجية ، وهى آخر محطة فى الخط الحديدى الواصل من الإسكندرية . وبهـا فنادق حديثة. ويعتبر فندق «الليدو» من فنادق الدرجة الأولى إذ أن كل غرفة فيه مجهزة بحمام للمياه الساخنة والباردة . وأما شاطئ البحر الرملى اللامع فيعد من أحسن شواطئ العالم جمالاً وهدوءاً ، بل إنه يضارع شاطئ الريفييرا نفسه . وقد أصبحت البلدة الآن محطة عظيمة للطائرات المحلية والأجنبية ، وهى من أحسن الأمكنة لقضاء صيف هادئ جميل

وسكانها من العرب والمهاجرين من الطرابلسيين واليونان ، ومنازلها مبنية كلها بالحجر على نظام حديث

المياه العذبة

ومشكلة المياه العذبة فى مرسى مطروح من المشاكل الدقيقة . وكان الرومان يحفرون خزانات صخرية عند منحدرات التلال تملأ بمياه الأمطار فى وقت الشتاء . وتوجد بالبلدة عدة آبار ، ولكنها غير عذبة تماماً ؛ ويشرب منها الأهلون والحيوانات . على أنه يمكن الحصول على المياه العذبة إذا حفر الإنسان قليلاً بالقرب من الشاطئ . ويزرع الأهلون بعض الحدائق من مياه هذه الآبار وترسل المياه النيلية من الاسكندرية على بواخر مصلحة السواحل

من وحى الفن

« هتلر » ذلك الرجل الذى يعيش وحيداً قوياً لا يعرف امرأة ولا يذوق اللحم ولا الخمر ولا يفكر إلا فى السيطرة على العالم وقيادة البشر ، ذلك الرجل الذى لو خرجت من بين شفتيه كلمة رقيقة على مائدة السياسة الخضراء لتغير وجه التاريخ . قد شاء القدر أن يجلس أخيراً إلى مائدة غداء فى مونيخ ، منفرداً مع كوكب لامع من كواكب الغناء ، وقد خرجت من بين شفتيه هذه الكلمات :

— إن صوتك لصاف صفاء البلور النقى !

فقالت المغنية الجميلة فى ابتسامة ساحرة :

— شكراً

فقال المستشار :

— أنا الذى ينبغى له أن يشكرك

فقالت الغانية فى شىء من العجب :

— على ماذا ؟

— على مجرد وجودك فى الدنيا ، لا أكثر ولا أقل !

* * *

قرأت خبر ما تقدم فى إحدى المجلات الأوربية . وقد ختمت المجلة الخبر بقولها : « وقد سافرت المغنية بعد ذلك إلى باريس، فأراد هتلر أن يضع طائرته تحت تصرفها. أترى قد وقع فى الغرام ؟ أى خلاص للبشرية إذا قنع هتلر منذ الآن بمكان رحب بالقرب من المرأة ! »

وأحب أن أعلق أنا على هذا الخبر بقولى : أترى المرأة تنتقم دائماً من ذلك العظيم الذى قضى حياته فى البعد عنها وكرس جهوده لغير التفكير فيها ؟ أو ترى الرجل العظيم الذى طرح المرأة من حسابه وأخرجها من حياته يعيش إلى آخر أيامه قانعاً ناعماً أم أنه يشعر فجأة فى لحظة من اللحظات أن امتلاك العالم بأسره لا يعدل أحياناً امتلاك قلب امرأة ؟ ! .

ترفيه الحكيم

أما الآبار الرومانية الشهيرة فتقع على بعد ١٢ كيلو متراً تقريباً من البلدة ، وهى آبار عجيبة جداً ، إذ هى عبارة عن نفق صخرى طويل تسير فيه المياه وطوله عظيم ويمكن للانسان أن يسير فيه مسافات طويلة تحت الأرض ، وله فتحات محفورة فى الصخور لإدخال النور وتسهيل تنظيفه . والمياه فيه وفيرة ، وقد استغلها الجيش البريطانى فى الحركة الأخيرة عام ١٩٢٦ فركب عليها آلات خاصة ومواسير تصل بها المياه إلى مرسى مطروح ، ولا تزال بها حتى الآن ، ومنها تمد البلدة بالمياه بسهولة جداً

صيد الإسفنج

صناعة صيد الإسفنج فى مرسى مطروح قديمة يرجع تاريخها إلى عدة قرون ويعتبر إسفنجها من أحسن الأنواع فى العالم . ويبدأ نصل الصيد من شهر مايو إلى اكتوبر سنويًا حيث تزدحم مياه البحيرات فى الميناء بأسطول عظيم من مراكب الصيد كلها من اليونان . أما طريقة الصيد هناك ففريدة وخطرة إذ يغطس الصياد بثقل من الأحجار ويذهب كثيرون منهم فى بعض الأحيان ضحية لهجوم وحوش البحر . ويقدر محصول الإسفنج سنويًا بآلاف الجنيهات . أما الصيادون أنفسهم فأكثرهم من سكان الجزائر اليونانية ، وهم قوم أتقياء جداً وقد بنوا كنيسة باليلدة ، ولهم قداسة . وأظن أن هذه الكنيسة هى الوحيدة فى الصحراء الغربية .

عبد الله مهيب